

تفسير ابن كثير

لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم نادى الشيطان : ألا إن محمدا قد قتل ورجع ابن قميئة إلى المشركين فقال لهم : قتلت محمدا وإنما كان قد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فشجه في رأسه فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس واعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل وجوزوا عليه ذلك كما قد قص الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال ففي ذلك أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم : { وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل } أي له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه قال ابن أبي نجیح عن أبيه : أن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشخط في دمه فقال له : يا فلان أشعرت أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال الأنصاري : إن كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم فنزل { وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل } رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة ثم قال تعالى منكرا على من حصل له ضعف { أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم } أي رجعتم القهقري { ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين } أي الذين قاموا بطاعته وقاتلوا عن دينه واتبعوا رسوله حيا وميتا وكذلك ثبت في الصحاح والمساند والسنن وغيرها من كتب الإسلام من طرق متعددة تفيد القطع وقد ذكرت ذلك في مسندي الشيخين أبي بكر وعمر : البخاري وقال مٌوسى عليه الله صلى الله عليه وسلم ما تلاه B الصديق أن هما حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرني أبو سلمة أن عائشة B أخبرته أن أبا بكر B أقبل على فرس من مسكنه بالسج حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فميم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشى بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه وقبله وبكى ثم قال : بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها وقال الزهري : حدثني أبو سلمة عن ابن عباس أن أبا بكر خرج و عمر يحدث الناس فقال : اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر فقال أبو بكر : أما بعد من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى : { وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين } قال : فوالله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها عليهم أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما سمعها بشر من الناس إلا تلاها وأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وحتى هويت إلى الأرض وقال أبو

القاسم الطبراني : حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد حدثنا أسباط بن نصر عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس أن عليا كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم { أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم } والله لا نقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت والله إنني لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه فمن أحق به مني ؟ وقوله تعالى : { وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا } أي لا يموت أحد إلا بقدر الله وحتى يستوفي المدة التي ضربها الله له ولهذا قال { كتابا مؤجلا } كقوله { وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب } وكقوله { هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده } وهذه الآية فيها تشجيع للجبناء وترغيب لهم في القتال فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه كما قال ابن أبي حاتم : حدثنا العباس بن يزيد العبدى قال : سمعت أبا معاوية عن الأعمش عن حبيب بن صهبان قال : قال رجل من المسلمين وهو حجر بن عدي : ما يمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء العدو هذه النطفة - يعني دجلة - { وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا } ثم أقحم فرسه دجلة فلما أقحم الناس فلما رأهم العدو قالوا : ديوان فهربوا وقوله { ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها } أي من كان عمله للدنيا فقط نال منها ما قدره الله له ولم يكن له في الآخرة نصيب ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله منها مع ما قسم له في الدنيا كما قال تعالى : { من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب } وقال تعالى : { من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا } ولهذا قال ههنا { وسنجزي الشاكرين } أي سنعطيه من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم ثم قال تعالى مسلما للمؤمنين عما كان وقع في نفوسهم يوم أحد { وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير } قيل : معناه كم من نبي قتل وقتل معه ربيون من أصحابه كثير وهذا القول هو اختيار ابن جرير فإنه قال : وأما الذين قرأوا { قاتل معه ربيون كثير } فإنهم قالوا : إنما عني بالقتل النبي وبعض من معه من الربيين دون جميعهم وإنما نفى الوهن والضعف عن بقي من الربيين ممن لم يقتل قال : ومن قرأ قاتل فإنه اختار ذلك لأنه قال : لو قتلوا لم يكن لقول الله { فما وهنوا } وجه معروف لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا بعد ما قتلوا ثم اختار قراءة من قرأ { قاتل معه ربيون كثير } لأن الله عاتب بهذه الآيات والتي قبلها من انهزم يوم أحد وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بأن محمدا قد قتل فعذلهم الله على فرارهم وتركهم القتال فقال لهم { أفإن مات أو قتل } أيها المؤمنون ارتددتم عن دينكم و { انقلبتم على أعقابكم } وقيل : وكم من نبي قتل بين يديه من أصحابه

ربيون كثير وكلام ابن إسحاق في السيرة يقتضي قولاً آخر فإنه قال : وكأين من نبي أصابه القتل ومعه ربيون أي جماعات فما وهنوا بعد نبيهم وما ضعفوا عن عدوهم وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن ا { وعن دينهم وذلك الصبر } وا { يحب الصابرين } فجعل قوله { معه ربيون كثير } حالا وقد نصر هذا القول السهيلي وبالغ فيه وله اتجاه لقوله { فما وهنوا لما أصابهم } الآية وكذا حكاه الأموي في مغازيه عن كتاب محمد بن إبراهيم ولم يحك غيره وقرأ بعضهم { قاتل معه ربيون كثير } قال سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن ابن مسعود { ربيون كثير } أي ألوف وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وقتادة والسدي والربيع وعطاء الخراساني : الربيون الجموع الكثيرة وقال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن { ربيون كثير } أي علماء كثير وعنه أيضا : علماء صبر أبرار وأتقياء وحكى ابن جرير عن بعض نحاة البصرة أن الربيين هم الذين يعبدون الرب D قال : ورد بعضهم عليه فقال : لو كان كذلك لقليل : الربيون بفتح الراء وقال ابن زيد : الربيون الأتباع والرعية والربانيون الولاة { فما وهنوا لما أصابهم في سبيل ا { وما ضعفوا وما استكانوا } قال قتادة والربيع بن أنس { وما ضعفوا } بقتل نبيهم { وما استكانوا } يقول : فما ارتدوا عن بصيرتهم ولا عن دينهم أن قاتلوا على ما قاتل عليه نبي ا { حتى لحقوا با { وقال ابن عباس { وما استكانوا } تخشعوا وقال السدي وابن زيد : وما ذلوا لعدوهم وقال محمد بن إسحاق والسدي وقتادة : أي ما أصابهم ذلك حين قتل نبيهم { وا { يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين } أي لم يكن لهم هجير إلا ذلك { فآتاهم ا { ثواب الدنيا { أي النصر والظفر والعاقبة { وحسن ثواب الآخرة { أي جمع لهم ذلك مع هذا { وا { يحب المحسنين }